

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[8] اختلاف بين وجودين اطلاقاً ، فلا معنى لوجود التعدد!! (دقق جيداً). و نظير هَذَا البحث وَرَدَ في الآية (22) من سورة الأنبياء حيث قوله تعالى (لو كَانََ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا). وَمَنْعَاءٌ لِلْإِلْتِبَاسِ يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ: هُنَاكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ بِالرَّغْمِ مِنَ التَّشَابُهِ بَيْنَهُمَا: الْأَوَّلُ يَدُلُّ عَلَى فِسَادِ الْعَالَمِ وَنِظَامِ الْوُجُودِ بِسَبَبِ تَعَدُّدِ الْآلِهَةِ. أَمَّا الثَّانِي فَيَتَحَدَّثُ - بَعْضُ النَّظَرِ عَنِ النِّظْمِ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ - عَنِ حَالَةِ التَّنَازُعِ وَالتَّمَانُعِ الَّتِي سَوْفَ تَقُومُ بَيْنَ الْآلِهَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ. (سوف نبحث هَذِهِ الْأُمُورَ مُفَصَّلًا أَثْنَاءَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ (22) مِنَ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ). وَبِمَا أَنَّ كَلَامَ الْمُشْرِكِينَ وَعِبَارَاتِهِمْ تُوْحِي بِأَنَّهُمْ نَزَلُوا فِي أُدْرَاكِهِمْ عِزًّا وَجَلًّا إِلَى مَسْتَوَى أَنْ يَكُونَ طَرَفًا لِلنِّزَاعِ، لِذَا فَإِنَّ الْآيَةَ تَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ مُبَاشَرَةً: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا). فِي الْوَاقِعِ إِنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ الْقُرْآنِيَّ الْقَصِيرَ، يُوْضِحُ - مِنْ خِلَالِ أَرْبَعَةِ تَعَابِيرٍ - عُلُوَّ الْكِبْرِيَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَنِزَاهَتَهَا عَنِ مِثْلِ هَذِهِ التَّخِيلَاتِ، إِذْ تَقُولُ: 1 - اسْتِخْدَامَ كَلِمَةِ (سُبْحَانَهُ) بِمَعْنَى التَّنْزِيهِ لِلذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ. 2 - ثُمَّ تَعْبِيرَ (وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ). 3 - ثُمَّ اسْتِخْدَامَ (عُلُوًّا) وَهِيَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ يَفِيدُ التَّأْكِيدَ. 4 - أَخِيرًا، جَاءَتِ كَلِمَةُ (كَبِيرًا) لِلتَّأْكِيدِ مَجْدِدًا عَلَى مَعَانِي التَّنْزِيهِ وَالْعُلُوِّ. وَبَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّ جُمْلَةَ (عَمَّا يَقُولُونَ) لَهَا مَعْنَى وَاسِعَةٌ حَيْثُ أَنَّهَا تَنْفِي كُلَّ أَشْكَالِ التَّهْمِ الْبَاطِلَةِ وَلِوَاظِمِهَا. ثُمَّ لِأَجْلِ إِثْبَاتِ عِظَمَةِ الْخَالِقِ وَأَنَّ هُوَ مُنْزَرٌّ عَنِ خِيَالَاتِ وَاعْتِقَادَاتِ وَأَوْهَامِ الْمُشْرِكِينَ، تَتَحَدَّثُ الْآيَةُ التَّالِيَةُ عَنِ تَسْبِيحِ كَائِنَاتِ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ إِذْ تَقُولُ: (تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ). ثُمَّ تَتَطَرَّقُ الْآيَةُ إِلَى أَنَّ التَّسْبِيحَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ مَا لَيْسَ هُنَاكَ